فريق التفريغ بموقع الطريق إلى الله
يـــقـــدم
من سلسلة "علمتني آية"
اليقين في الله
(باللهجة المصرية)

لفضيلة الشيخ: محمد سعد

رابط المادة: https://way2allah.com/khotab-item-168410.htm

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

"وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ * فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ * وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ * وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ * فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ * فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ * فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ * قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ" الشعراء ٥٢:٦٢

لم تعرف الدنيا طاغيّة أظلم ولا أطغى من فرعون، ولا ملأً أعظم ولا أطغى من ملأ فرعون، بنوا إسرائيل أمّة أخرجهم الله –تبارك وتعالى– من حضيض الذل إلى العزّ والتّمكين وأورثهم الأرض، لكن كان في ذلك قصة في غاية العجَب، تدور هذه القصة حول هذه النقطة عندما تكون موقنًا بربّك–تبارك وتعالى–.

وعد الله هو الوعد الحق

موسى –عليه السّلام– في أوّل سورة القَصص، بدأت القصة بقوله –تبارك وتعالى–: "وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ" القصص:٥، إذا أراد الله –تبارك وتعالى– أمرًا كان ولا بد، "وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ" يوسف:٢١

بدأت القصة، بهذا الطفل الرضيع الذي لا يملك من أسباب القوة شيئًا البتّة، أمٌّ في غاية الوَجل، في غاية الخوف؛ أمامها طاغيّة يُذبّح الأطفال تذبيحًا، لكن الله–تبارك وتعالى– قال: "وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ" القصص:٧، ثم قال تبارك وتعالى بعدها بخمس آيات: "فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَ يْ تَقَرَّ عَيْنُهَا" القصص:١٣، فرددناه إلى أمّه كيْ تقرَّ عيْنها، ردّه –تبارك وتعالى–؟ نعم، لأن الله –تبارك وتعالى– وعدُه الحق، مرّت القصة بالسنين طُوال، ثم جاء الأمر من الله –تبارك وتعالى– إلى موسى وهارون، قال الله –تبارك وتعالى– لهما: "اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ * فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ * قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَىٰ * قَالَ لَا تَخَافَا" طه٢٠:٤٣:٤٦، ما الذي يُطمئنك أيها العبد المُستضعف؟

الخالق كل شيء بقبضته

"لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ" طه:٤٦؛ حينئذ وقر الإيمان في قلب موسى وهارون؛ أن الله–تعالى–لن يتخلّى عنه وأن الله–تبارك وتعالى–لا يغيب شيء عن سمعه، ولا يغيب شيء عن بصره، والأرض كلّها بل الكون كلّه في قبضته وهيمنته، "لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ" طه:٤٦.

موت محقق

انطلق موسى وهارون وكان اللقاء، وتوالت اللقاءات حتى وصلنا إلى هذه المرحلة واللحظة الحاسمة الفارقة في تاريخ هذه الأمّة، ما الذي حدث؟ فرعون جمع جنوده؛ تعبئة عامّة ليقضي على موسى وأمّة بني إسرائيل، "إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ * وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ * وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ" الشعراء ٥٤:٥٦، ينطلق فرعون مع جنوده في غاية الطغيان، يذهب خلف موسى وأمّته المُستضعفة الذليلة، يقف موسى –عليه السّلام– أمام الماء إنه الهلاك، إنه الضّياع، إنه لا نجاة، بمقاييس البشر هذا هو الموت المُحقّق. "قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ" الشعراء:٦١، لقد مِتنا يا موسى، لقد ضِعنا يا موسى.

الإمامة في الدين لا تكون إلا بالصبر واليقين في الله

"قَالَ كَلَّا" الشعراء:٦٢، هذه الكلمة لا تخرج إلّا من قلب عبد موقن، مؤمن أن الله –تعالى– لن يتخلّى عنه، "كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ" الشعراء:٦٢، وتنقلب الموازين وتتغيّر الأرض، لأن الأرض كلّها بيد الله –تبارك وتعالى–، "وَأَنْجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ" الشعراء:٦٥، وأغرق الله –تبارك وتعالى– فرعون وجنوده في اليمّ أمام أعين المستضعفين لأن الله –تبارك وتعالى– كان مع موسى ومن معه من المؤمنين.

ما هو اليقين بالله؟

اليقين في الله، لا يُمكن أن تنال الإمامة في الدين إلّا بأمرين، قال –تبارك وتعالى–: "وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ" السجدة:٢٤، يعني إيه توقن في الله؟ يعني إيه يكون عندك يقين في ربّ العالمين–سبحانه وتعالى–؟

يُقال يَقن الماء، أي استقرّ وثبت، يقول عبد الله بن مسعود: اليقين الإيمان كلُّه. أن تكون مُصدّقًا بربّك، أن الأرض كلّها بيده، وأنه من يُدبّر الأمر وأنه السّميع، البصير، العليم، الحكيم، القوي المتين، الذي لا يُغلب، وأنه إذا أراد شيئًا كان، وأن من كان الله معه فمن عليه؟

قلب لا يُهزم

عندما يستقرّ هذا في قلبك؛ يكون قلبك كالحديد، كالجبل الأصم، تزول الدنيا ولا يزول، لذلك سيّدنا النّبي –صلّى الله عليه وسلّم– عندما خرج من مكّة مُهاجرًا ومعه الصدّيق أبو بكر يلحق به الكفّار، يتخفّى عن أعينهم، يدخل الغار. وإذ بالكفّار يقفون على باب الغار؛ الصدّيق يخشى على النّبي –صلّى الله عليه وسلّم– بأسباب البشر، ضِعنا،

مِتنا يا رسول الله، سينطفئ نور الله –تعالى– في الأرض...، لكن هنا يُطمئن النّبي –صلّى الله عليه وسلّم– قلب صاحبه. "إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ" التوبة: ٤٠، ما الذي تملكه من أسباب القوّة؟ ما الذي معك من الأسباب الماديّة؟

أنت وصاحبك مطاردون. في غار، ليس معكم من أسباب القوّة أي شيء، وهؤلاء الكفرة ليس عندهم لا دين ولا مروءة؛ سيفتكون بكم، سيُقطّعونكم إربًا إربًا، لقد رصدوا الجوائز الماليّة لمن يأتي برأسيكما. فماذا تفعل يا رسول الله؟ قال: لا تحزن إن الله معنا.

نتيجة اليقين بالله

تنقلب الموازين. نعم، تنقلب الموازين عندما يوقن العبد أن الله –تبارك وتعالى– معه فلن يتخلّى عنه، وأن الله –تعالى– سيحفظه، ولا بد.

إبراهيم –عليه السّلام– يأمره الله –تبارك وتعالى– أن يذهب بابنه وزوجه إلى أرض مكّة حيث لا إنس ولا شيء؛ اختبار. عندما تُؤمر بأمر الله –تبارك وتعالى– سيأتيك الشيطان ويقول لك أنت ستضيع، سيضيع أولادك، تضيع زوجتك، ماذا تفعل في المصاريف والحياة والدنيا؟ ماذا ستصنع في خضمّ هذه المسؤوليّات؟ سيخوِفك الشيطان من الفقر، ومن أوليائه، ومن الطواغيت، ومن كل شيء.

الله بيده الأمر كلّه

عندما تكون موقنًا أن الله –تبارك وتعالى– هو الذي بيده الأمر وليس هناك أحد البتة بيده مثقال ذرة سيطمئن قلبك، وتثبت ويثبت فؤادك. "إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا" القصص: ١٠، هذا الربط لن يأتي إلّا باليقين في وعد الله –تبارك وتعالى– عندما توقن في وعده، إبراهيم –عليه السّلام– يوقن أن الله لا يُريد له ولا لولده ولا لزوجه الهلاك. إيّاك أن تظن لحظة أن الله –تعالى– يُريد هلاكك أو ضياعك، يذهب إبراهيم –عليه السّلام– بزوجته وطفله الرّضيع يتركهم في أرض مكّة ومعهم جراب تمر وبعض الماء، ويمضي.

تقف المرأة؛ لأنّها من الإنس، والإنسان منا ضعيف، تُنادي على زوجها: يا إبراهيم. أين تذهب وتتركنا في هذا الوادي الذي ليس فيه إنس ولا شيء؟ صحراء مهلكة، إبراهيم يمضي ولا يلوي؛ حتى لا يلتفت، يوقن أن الله لن يتخلّى عنه ولن يُضيّعه، يمضي. تُعيد المرّة، والمرّة، والمرّة، والمرّة، لمّا لم تجد منه جوابًا، أيقنت أن إبراهيم ما كان ليفعل هذا عن هوى، وأنه مأمور. قالت: يا إبراهيم آالله أمرك بهذا؟ قال: نعم. قالت: اذهب، فوالله لن يُضيّعنا الله.

لن يُضيّعك الله

لن يُضيّعنا الله؛ عندما توقن أنك عندما تستجيب لأمر الله ورسوله لا تضيع. "وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا" الطلاق:٢، أنت موقن بالآية دي؟ لمّا تبقى مؤمن ومصدّق إنك لمّا تترك العمل في البنك المحرّم الرّبوي، ولمّا تسيب الرشوة المحرّمة، ولمّا تسيب المكان المحرّم، ولمّا تترك الشيء المحرّم؛ أنّك لن تضيع، "وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ" الطلاق٢:٣، سيأتيك الرّزق لا بد، وكلّه بركة.

اختبار

اذهب فلن يضيّعنا الله، لكن لابدّ من محك، لا بدّ اختبار، لأن أغلب النّاس يدّعون الإيمان، ينفذ الماء، ويمضي التمر، يجوع الغلام، يصرخ ويبكي، تصعد هاجر أعلى الجبل، تنزل إيابًا وصعودًا، لعلّها أن ترى شيئًا؛ ولا ترى شيئًا.

فرج قريب

وتأتي اللحظة بعد سبعة أشواط، هنا وهنالك، تسمع صوتًا، وإذ بالماء يتفجّر من تحت قدم الرّضيع، أنّى لرضيع أن يُخرج الماء من تحت قدمه؟ أخرجه ربّ العالمين –سبحانه وتعالى–، الذي فجّر النهر فجعله صخرًا حتى لم تبتل أرض لبني إسرائيل هو هو الذي فجّر الصخر وأخرج منه الماء، خرج الماء ماءً معينًا، عذبًا فُراتًا، وإذ بها تسمع صوتا ولا ترى المُتكلّم!

يقول لها لا تخافوا الضّيْعة. لما؟ إن الله لا يُضيّع أهله. هذا هو اليقين، إن الله لا يُضيّع أهله.

قالت المرأة ابتداءً: اذهب فلن يُضيّعنا الله. ثم جاءتها البشرى. اذهب فلن يُضيّعنا الله. لا تخافوا الضّيْعة إنّ الله لا يُضيّع أهله. لا ضياع مع أمر الله –تبارك وتعالى–، وبالفعل نجت هاجر، ونجى ولدها إسماعيل.

أين أنت من اليقين؟

وهكذا عندما تكون موقنًا، عندما تنزل إلى قبرك تُسأل ثلاثة أسئلة: من ربّك؟ من نبيّك؟ ما دينك؟

هنا قسمان لا ثالث لهما، إمّا أن تقول؟ ربّ الله، نبيّي محمد –صلّى الله عليه وسلّم–، ديني الإسلام. هذا هو العبد المؤمن لمّا يجاوب هذه الأجوبة يُقال له على اليقين كنت، وعليه عِشت، وعليه تُبعث إن شاء الله.

يعني، إيه على اليقين كنت؟ إنت كنت موقن أن ربّك هو الله، أن المُتفرّد للخلق والرزق والمُلك والتدبير ربّ العالمين، لم يتعلّق قلبك بالأنداد؛ لا بأصحاب الأموال، ولا بأصحاب السلطان، ولا بأصحاب الجاه، تعلّق قلبك بالله وحده، كنت على يقينٍ من ذلك فلم تكن عبدًا إلّا له وحده، كنت على يقين أن الدّين الحق هو دين الإسلام، فلم تأخذ مرجعياتك ولا أفكارك، ولا منهجك إلّا من خلال هذا الدّين؛ لأنّك توقن أن القرآن حق، وأن كلام النّبي حق، صلّى الله عليه وسلّم، وقلت ونبيي محمد، لم يكن لك متبوع ولا قائد ولا هادٍ يهديك السّبيل إلا رسول الله–صلّى الله عليه وسلّم–، هذا اليقين عندما تعيش به يطمئن قلبك في خضمّ هذه الحياة، يطمئن قلبك لما أنت عليه، يشكّ الناس

ويتحيّرون، وأنت ثابت، لا تلين لك قناة؛ لأنّك توقن بالحق الذي أنت عليه، توقن بوعد الله –تبارك وتعالى– واعلم أن يوم القيامة هناك سيوقن الكل ولا بد.

الخاتمة

قال تعالى: " وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ" الأعراف:٤٤، إني والله لك والله ناصح أمين. كن على يقين اليوم من ربّك ومن دينك ومن نبيّك، اقرأ كتاب الله –تبارك وتعالى– تجد فيه الآيات الباهرة، "سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ" فصلت:٥٣، عش عليه حتى تموت عليه، وتُبعث عليه إن شاء الله.

أقول قولي هذا، والسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.